

## الفصل الثاني

### قيّم تربويّة في القصص القرآني

تحليل لمواقف من قصة يوسف عليه السّلام

\* مقدمة حول موضوع البحث وأهميته :

الحاجة ماسة في الآونة الأخيرة الى النظر في القرآن الكريم ، بمنظور تربوي . نتحرى فيه عمق التأثير ، وننهج فيه استنباط القيم التربوية من نصوص قرآنية . بما يبرز حاجة البشر الى تلك القيم متفكّة مع حاجات البشر . ومتناسقة مع أهدافهم الحياتية .

ولعل من مبررات هذا الاتجاه لهذا النوع من الأبحاث . ما استشرى في العصر الحاضر . من بعض كتابات وبحوث عن التربية الاسلامية . من منطلق تاريخي عن التعليم الاسلامي . الذي يتعرض للمدرسة في الاسلام . وتاريخ الكتاب . ومعلم الكتاب . الخ . دون التعمق في الفكر التربوي من منظور الكتاب والسنة . اللهم فيما عدا النزول اليسير الذي يأتي باستشهاد اجمالي . دون التعمق والفحص واستخراج ما بداخل تلك النصوص من فكر تربوي اسلامي .

ومع أهمية هذه الكتابات بهذا الشكل ، ومع تأثيرها كفكر وثرات تاريخي لا غنى عنه . الا أن التركيز على هذا اللون فقط من الكتابة مما يبرز قضايا تربوية على النحو التالي :

- ( ا ) عدم وضوح فكر تربوي من منظور اسلامي متكامل .
- ( ب ) يبدو الفكر التربوي الغربي وقد احتل مكانا في بعض النفوس ، مما قد يوحي بأنه هو الجدير بالبحث ، لأنه يتمشى مع متطلبات العصر . وتقدم الأمم والشعوب .
- ( ج ) قلة اهتمام بعض مفكري التربية باستنباط بعض القيم الكامنة في القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة .

( د ) توفير المجال الخصب والأرض الرحبة . أمام الغزو  
فكري . حتى يتمكن من بث ونشر اتجاهاته وآرائه . معتقدا في هذ  
على التشكيك في قدره التربوية الاسلامية على مواكبة الحياة العصرية  
من جهة • ومن جهة أخرى على جذب الشباب الى الفكر التربوى  
المشوه . والذي امتزج فيه السم بانعسل . من أجل تحويل المجتمعات  
الاسلاميه عن النظر في قرآنها . أو التشكيك في قدرة هذا الكتاب على  
التناسق مع العصر والتوافق مع متطلباته وأهدافه •

هذا ولا ادعى أن بحث كهذا . سوف يزيل هذه السحب القائمة .  
ويمحو هذا الضباب من وجه الفكر التربوى الاسلامى . لأن هذا المجال  
أعنى التربية الاسلامية من القرآن الكريم . ليس بالأمر الهين .  
أو اليسير . لأنه يحتاج الى دقة . والى روية . وبعد نظر •  
وعلى كل حال فهى بداية . نرجو الله لها التوفيق . فى مسارها  
الرحب الطويل •

ونحن يحدونا الأمل ويستلهمنا الرجاء . أن نقتطف ذرات من  
فضرات من قيم تربوية . يحتويها الكتاب المبين . ويضمها القرآن  
الكريم •

وكم وقفنا متأملين وناظرين . بل ومنتظرين . لعل القدر يقذف  
لينا بعض مما نرجوه حول كتابة من هذا النوع قد تشبع النهم .  
وتشفى الغليل وتريح الضمير •

وهذا يلقي علينا تبعة الاعتراف بالفضل . لاجتهاد المجتهدين فى  
هذا الميدان — جزاهم الله عن الاسلام خيرا — هذا الاجتهاد الذى  
جاء — من وجهة نظرنا — من منظور اسلامى بحث أحيانا أو من منظور  
تربوى أحيانا أخرى . بينما بدا فيه المزج مبعثرا : بعيدا عن الدقة  
والترباط مع أهداف الجماعة وقيمتها التربوية . كما بدت حاجة الكائن  
البشرى . والمجتمع الانسانى غير واضحة فى تلك الكتابات •

وعسانا نجد — ان شاء الله — من يسهمون فى احياء هذا الفكر  
التربوى ويضيفون الى هذا الميدان شيئا يعتز به الاسلام والمسلمون  
ويكون نقائص فى وجه أعداء الاسلام من تربويين وغيرهم « يريدون  
ليطفنوا نور الله بأفواهم والله متم نوره ولو كره الكافرون » (١) •

\* \* \*

## \* التعريف العام بالسورة :

تجول هذه السورة بنا في عالم الانسان . وتهتم وترتكز على الحياة الانسانية بحوادثها ودقائقها . بكل ما فيها من عواطف وأفكار وعقائد ومشاعر . وبهذا لا تتعرض السورة لعالم الكون الخارجى (٢) .

ان الله تعالى بقص فيها حياة لانسان احسن النقص انها قطعة من الحياة بعروتها النابضة ومشاعرها المتأججة ونوازع الخير والشر فيها . اننا نرى فيهم انفسنا . ولكن نرى مع ذلك يد انقدر ونحس اثرها فينا وفي اعماننا . اننا نراها تخط في الحوادث مصيرنا وتبلغ بنا الغايات المقدره منفذة لقضاء الله منسجمة مع غايات قدره التى هى الخير المحض . فتجمع بذلك بين الطاعة والارادة والعمل والتفاؤل بالمستقبل . ذلك هو السبب الذى يجعل لسورة يوسف هوى في نفوسنا (٣) .

من هذا المنطلق كانت سورة يوسف درسا في التربية . كل التربية بما فيها من اتجاهات نظرية وأفكار فلسفية . بل ومواقف عملية يمكن نو احسن استثمارها أن تكون مثالا يحتذى ونموذجا يقتفى .

هذا وبالرغم من أن جو الفترة التى نزلت فيها السورة . كان حرجا وموحشا . ويوحى بالشدّة والحزن . وبالرغم كذلك من أن بها مواقف . تبدو لأول وهلة أنها محزنة . أقول : بالرغم من ذلك كله . فقد انتهت بالفرج والتيسير . وكاننا بهذه السورة . وقد جاءت لتعيد الأمل ولتحبى صيحة الحق . واليقين . التى استمرت عالية حتى كتب الله النصر لهذا الدين . فارتفعت رايته خفاقة على ربوع الدنيا كلها (٤) .

وكاننا في سورة يوسف عليه السلام : نترسم خطى نماذج تربوية . كقدوة تحتذى . ومثل يمكن أن نترسم خطاه ونسير على نهجه .

ومن هنا جاء اختيارنا لتلك القصة ؛ كنموذج في غاية الدقة : وتطبيق منهج الاسلام في غير ما تباه أو غطرسة .



(٢) محمد المبارك . دراسة ادبية لنصوص القرآن . دار الفكر ط ٤

١٩٧٣ ، ص ٨٠

(٣) المرجع السابق .

(٤) سيد قطب . في ظلال القرآن . المجلد الرابع . الجزء الثانى عشر

مطبعة دار الشروق . ط ١٤٠١ / ١٤٠١ ، ص ١٩٤٩

## ✽ بين السمات الفنية للقصة عموما والسمات الفنية للقصص القرآنى :

قبل الحديث عن بعض خصائص الأسلوب القصصى فى القرآن .  
يجدر بنا أن نعرف مفهوم القصة عموما . ثم أقسامها من ناحية القلب  
والمظهر والشكل .

والقصة — أى قصة — هى طريقة تعبر عن الحياة أو بعض منها .  
وذلك بتناول واقعة واحدة أو عدد من الوقائع . يكون بينها ترابط .  
على أن يكون للقصة بداية ونهاية .

أما أقسامها فأربعة :

### ( أ ) الأقصوة :

وتتضمن علاجاً لجانب معين من حياة . بحيث تقتصر على سرد  
حادثة . أو مجموعة من حوادث . تشكل موضوعاً منفرداً بأفراده  
ومقوماته . بيد أنه يجب أن يكون الموضوع — مع قصره — كامل النضج  
من حيث التحليل والعلاج . وهذا يتطلب مهارة معينة عند الكاتب .  
لأن المجال محدد وضيق ويحتاج الى براعة تامة .

### ( ب ) القصة :

وفىها يعالج الكاتب مجموعة من المواقف والحوادث . تكون أرحب  
مما يعالج فى الأولى ، والقصة وسط بين الأقصوة والرواية ، وعليه  
فلا مندوحة أن يطول زمن القصة وتمتد حوادثها .

### ( ج ) الرواية :

وفيه يتاح للمؤلف أن يعالج موضوعاً كاملاً أو أكثر . على أن يكون  
مملوءاً بحياة تامة . بحيث يفرغ القارئ من الرواية . وقد أحاط علما  
بحياة بطلها أو أبطالها فى مراحلها المختلفة .

### ( د ) الحكاية :

عبارة عن سرد لواقعة أو عدد من الوقائع الحقيقية أو الخيالية  
لا يلتزم فيها الحاكي بممارسة قواعد الفن الدقيقة ، ويمكنه أن يرسل  
الكلام بما ينسجم مع طبعه .

ويقترض العلماء ثلاثة عناصر أساسية فى القصة الفنية بمعناها  
المطلق : الموضوع — الشخصيات — الحوار .

ويحتمون توفر شروط معينة كل من تلك العناصر . ويبرزون جواب  
الخلل التي تحبل نقصة التي نموط غير غنى .

ومن أهم تلك الالاس :

- ( أ ) أن تتوفر للقصة وحدة فنية .
- ( ب ) أن يتوفر في عرضها أسلوب التلميح ما أمكن .
- ( ج ) أن يبرز الكاتب شخصيات أنقصة بعناية تامة .
- ( د ) وضوح الهدف وانغرض من القصة .
- ( هـ ) الاتنضخ الحكمة والموعظة بها بشكل مباشر وظاهر .
- ( و ) ألا تخلو من عناصر التشويق .
- ( ز ) أن يكون أسلوبها وسطا . لا هو بالسهولة . ولا بالبالغ الصعوبة (٥) .

أما القصة في القرآن الكريم فانها « ليست عملا غنيا مستقلا في موضوعه وطريقته عرضه وإدارة حوادثه كما هو الشأن في القصة الفنية الحرة التي ترمى الى عرض غنى تطبيق . انما هي وسيلة من وسائل القرآن الكثيرة الى أغراضه الدينية . والقرآن كتاب دعوة دينية قبل كل شيء والقصة إحدى وسائله لإبلاغ هذه الدعوة وتثبيتها .

وقد خصعت القصة القرآنية في موضوعها وفي طريقة عرضها . وإدارة حوادثها لمقتضى الأغراض الدينية ؛ ولكن هذا الخضوع الكامل لنغرض الديني لم يمنع بروز الخصائص الفنية في عرضها . ولا سيما خصائص القرآن الكبرى في التعبير وهي التصوير « (٦) . هذا ومع الأخذ في الاعتبار أن خصائص القرآن الكبرى لا تنحصر فقط في التصوير . بل هنالك السطح والعمق والصدور والتنويع الإبداعي . . الى غير ذلك .

والقصص القرآني يرتبط أحيانا بالأنبياء ؛ فيتناول دعوتهم انى قومهم . وتأبيدهم بالمعجزات من الله سبحانه وتعالى . وذلك كما جاء في قصة نوح وإبراهيم وموسى وهارون وعيسى ومحمد وغيرهم من الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

وقد تكون القصة عابرة تتعلق بحوادث وأشخاص . لم تثبت نبوتهم كما جاء عن الذين أخرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت

---

(٥) عبد الله شحاته . علوم القرآن والتفسير . دار الاعتصام .

(٦) المرجع السابق ص ١٩٧

الفاهرة . ١٩٨٠ ص ١٩٥ . ١٩٦٠

وظالموت وجالوت وابنى آدم وأهل الكهف وأصحاب الأخدود ... الخ .  
وقد تكون 'قصه متعلقه بحوادث فى عهد 'الرسول صلى الله عليه وسلم  
كغزوة بدر وأحد وحنين وتبوك ... الخ .

ولكن مع هذا التنوع فى أشخاص القصة فى القرآن الكريم الا أن  
جميعها متفق حول تحقيق الأغراض الدينية البحتة . ومنها توحد  
الدين المنزل من عند الله وأثبتت وحدانية الله رب العالمين . وأثبتت  
'أوحى والرسالة . وكذلك أثبتت عواقب الصبر والجزع والشكر  
والبصر ... الخ (٧) .

ويأتى مظاهر التنسيق الفنى فى القصة القرآنية من حيث كونها  
لا تخضع للقواعد الفنية للقصاص الحديثة ؛ وقد تتوافق معها فى بعض  
الاحيان « وقد تنفرد بابداعها الفنى فى بعض الأحيان لكنها مع الاتفاق  
والاختلاف تبقى دائما قصة قرآنية لها سماتها ولها خصائصها ومميزاتها  
الخاصة دون أن تكون عملا فنيا مستقلا فى موضوعه وطريقة عرضه  
وإدارة حوادثه . ويبقى هدفها الأول والأخير هو هدف القرآن ذاته » (٨)  
قال تعالى : « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا  
القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » (٩) .

\* \* \*

### \* السمات الفنية فى قصة يوسف عليه السلام :

نقد امترجت فى هذه القصة — التى نحن بصدددها — التوجيهات  
الدينية والتربوية . . وظهر ذلك فى سياق القصة وقبلها وبعدها ، وقد  
بدئت السورة بقوله تعالى : « الر ، تلك آيات الكتاب المبين » (١٠)  
ومعناه عند الطبرى : « وهذه آيات الكتاب المبين ، لمن تلاه وتدبر  
ما فيه . من حاله وحرامه ونهيه . وسائر ما حواه من صنوف معانيه .  
لأن الله جل ثناؤه أخبر أنه مبين ، ولم يخص ابنته عن بعض ما فيه  
دون جميعه . فذلك على جميعه ؛ اذ كان جميعه مبينا عما فيه » .

« انا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون » (١١) يقول تعالى ذكره :

(٧) المرجع السابق ص ١٩٧ - ١٩٨

(٨) المرجع السابق ص ٢٠٧ - ٢٠٨

(١٠) يوسف : ١

(٩) يوسف : ٣

(١١) يوسف : ٢

انا أنزلنا هذا الكتاب بلسانهم . بيقلوه . ويفقهوا منه . وذلك قوله عز وجل : « لعالمك تعقلون » (١٢) .

« نحن نقص عليك احسن القصص بما أوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين » (١٣) .

يقول جل ثناؤه لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : « نحن نقص عليك يا محمد احسن القصص . بوحينا اليك هذا القرآن فنخبرك فيه عن الأخبار الماضية وأنباء الأمم السابقة والكتب التي أنزلناها في اعصور الخالية . وان كنت من قبله لمن الغافلين عن ذلك . لا تعلمها . ولا شيئاً منه » (١٤) .

وعلى هذا يكون القول ان بداية سورة يوسف جاءت كرد على المشركين . الذين ادعوا أن القرآن كان يعلمه أعجمي لرسول الله صلى الله عليه وسلم . كما أن في قوله تعالى : « وان كنت من قبله لمن الغافلين » (١٥) إشارة الى أن القرآن وحى من عند الله وكان النبى صلى الله عليه وسلم من الغافلين عن اتجاهه وموضوعاته (١٦) .

واذا كانت تلك بداية القصة اتضح فيها التوجيه نحو تثبيت الدعوة الاسلامية وأن القرآن كلام الله أنزله على محمد صلى الله عليه وسلم . فان نجد تعقياً دينياً تربوياً في نهاية القصة . لا يقل أهمية عن بدايتها لأن هذا التعقيب يناسب الغرض الرئيسى من عرض القصة . والمعبره الأساسية من ذكرها في القرآن الكريم والايحاء بها الى النبى محمد صلى الله عليه وسلم . كما جاء التعقيب مؤكداً لما جاء في مفتتح السورة بقول الله تعالى « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الالباب ، ما كان حديثاً يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شئ وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (١٧) .

يقول تعالى ذكره : « لقد كان في قصص يوسف واخوته عبرة

---

(١٢) ابو جعفر محمد بن جرير الطبرى . جامع البيان عن تأويل آى القرآن . الجزء الثانى عشر . ط ٢ . ١٣٧٣ / ١٩٥٤ . مطبعة مصطفى البابى الحلبي بمصر . ص ١٤٩

(١٤) المرجع السابق ص ١٥٠

(١٣) يوسف : ٣

(١٥) يوسف : ٣

(١٦) سيد قطب . في ظلال القرآن . مرجع سابق ص ١٩٤٩

(١٧) يوسف : ١١١

لأهل الحجا والعقول فيعتبرون بها . وموعظة يتعظون بها . وذلك لأن  
 لله جل ثناؤه بعد ان ألقى يوسف في الحب نيهلك . ثم بيع ببيع العبيد .  
 باخسيس من الثمن . وبعد الاسار والحبس الطويل — ملكه مصر .  
 ومكن له في الأرض . وأعلاه على من بغاه سوءا من اخوته . وجمع  
 بينه وبين والديه واخوته بقدرته . بعد المدة الطويلة . وجاء بهم اليه  
 من الشقة النائبة البعيدة . فقال جل ثناؤه للمشركين من قريش . من  
 قوم نبيه محمد صلى الله عليه وسلم : لقد كان لكم أيها القوم في قصصهم  
 عبرة لو اعتبرتم به . ان الذي فعل ذلك بيوسف واخوته لا يتعذر عليه  
 أن يفعل مثله بمحمد صلى الله عليه وسلم ؛ فيخرجه من بين أظهركم ،  
 ثم يظهره عليكم ويمكن له في البلاد ويؤيده بالجند والرجال من الأتباع  
 والأصحاب . وان مرت به شدائد . وأتت دونه الأيام والليالي والدهور  
 والأزمان « (١٨) .

« ما كان حديثا يفترى » (١٩) يقول تعالى ذكره : ما كان هذا القول  
 حديثا يختلق ويتكذب ويتخرس . . « ولكن تصديق الذي بين يديه » (٢٠)  
 يقول : ولكن تصديق الذي بين يديه . من كتب الله التي أنزلها قبله على  
 أنبيائه . كالتوراة والانجيل والزبور . ويصدق ذلك كله . ويشهد له ؛  
 أن جميعه حق من عند الله (٢٠) .

« وتفصيل كل شيء » (٢١) يقول تعالى ذكره : وهو أيضا تفصيل  
 كل ما للعباد اليه حاجة من بيان أمر الله ونهيه ؛ وحلاله وحرامه وطاعته  
 ومعصيته . وقوله : « وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » (٢١) يقول تعالى  
 ذكره : وهو بيان أمره ورشاده من جهل سبيل الحق ، فعمى عنه ، اذا  
 تبعه فاهتدى به من ضلالتة ، ورحمة لمن آمن به ، وعمل بما فيه ،  
 بنقذه من سخط الله ، وأليم عذابه ، ويورثه في الآخرة جناته ، والخلود  
 في النعيم المقيم . « لقوم يؤمنون » يقول : لقوم يصدقون بالقرآن وبما  
 فيه من وعد الله ووعيده وأمره ونهيه فيعملون بما فيه من أمره وينتھون  
 عما فيه من نهيه (٢١) . وبهذا تحتل قضية الايمان بالله وحده والاقتران  
 له بالعبودية مفتتح السورة وختامها بنمط يعز على الوصف ويربو عن  
 الخيال .

(١٨) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ، ج ١٣ مرجع سابق ص ٦٠

(١٩) يوسف : ١١١ (٢٠) المرجع السابق ص ٦٠

(٢١) المرجع السابق ص ٦١

هذا ولقد كنت هذه القصة رائعة خصبة غنية تمثل الحياة بما فيها من وقائع وحوادث متسلسلة مترابطة ومؤامرات ومصادفات ومفاجآت وعواطف ودوافع وآراء بشرية وأقدار الهية وهي طول قصة في كتاب الله تضمنت مشاهد كثيرة متواليه<sup>(١١)</sup> .

كما أن هذه القصة قد اشتملت على الكثير من صور الحياة الواقعية بما فيها من دوافع الخير ونوازع الشر . ومن عاطفة الحنين والشفقة احياء والتكيد والتأمر أحيانا أخرى .

كما أنها اشتملت على الضمير الرادع والشهوة الجامحة والايمن . نقوى بالله والثقة به والتفاؤل العميق .

وبالجمله فلقد جمعت القصة حورا من الصراع بين الغريزة والواجب الخلقى والهوى والايمن<sup>(١٢)</sup> . واتسمت بأنها تحول الأنظار من السماء الى الأرض فتأخذ الانسان ليعيش الحياة وليشاهد الطبيعة الانسانية بكل مقوماتها واتجاهاتها . سواء فيما يتعلق بالحب أو الكره . البغض والحسد . المكر والخديعة . فهي آية في الكثف عن عاقبة الصبر والصدق والاخلاص والشكر لله رب العالمين .

\* \* \*

### \* الأهداف التربوية في قصة يوسف عليه السلام :

لا شك أن الغرض الديني التربوي . قد احتل مكانا موسعا في قصة يوسف عليه السلام . واذا كانت القصة في ذاتها بها مواقف تربوية . ظهرت من خلالها فان اتحاد الغرض الديني والتربوي قبل القصة . وبعدها يعتبر الملمح الرئيسي في تلك القصة . والذي جاء كإطار عام وهدف أساسي لأنه يدور حول وحدة الدين ووحدة الألوهية .

وبهذا يمكننا أن نميز نمطين من الأهداف التربوية في تلك القصة :

( أ ) الهدف التربوي العام .

( ب ) الأهداف التربوية الخاصة .

وسوف نتحدث عن كل تلك الأهداف بالتفصيل . آخذين في الاعتبار أن كلا منهما مكمل للآخر ، فهما يلتقيان سعيا في سبيل بناء الفرد المسلم والشخصية الاسلامية الموحدة .

---

(٢٢) محمد المبارك : دراسة أدبية لنصوص القرآن . مرجع سابق ،

ص ٨٢ - ٨٣

(٢٣) المرجع السابق ص ٨٨ - ٨٩

**أولاً — الهدف التربوي العام : توحيد الله وعبادته والدعوة إليه :**  
تجىء وحدة الدين ووحدة الألوهية . واتحاد الأنبياء والمرسلين  
حول الدعوة الى الله . ونصرة دينه . هدفا رئيسيا عاما فى تلك القصة .  
حيث يمكن استنباط العبرة والعظة من قصص الانبياء والمرسلين .  
واستخلاص المواقف المتشابهة . لادراك مدى الاعجاز الباهر والاتحاد  
الملتحم بين الأنبياء والمرسلين مع الاختلاف فى الأزمنة والأمكنة  
ونوعية البشر .

وبهذا يأتى فى النهاية أن تدعيم مسار الدعوة الى الاسلام هدف  
رئيسى ومطلب ملح . لجميع الأنبياء والمرسلين . مع اختلاف فى المواقف  
والأحداث مع قومهم .

وإذا كان هذا يصدق على جميع الرسل والأنبياء . كما قال تعالى  
مخاطبا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم : « شرع لكم من الدين ما وصى  
به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ،  
أن أقيموا الدين ولا تفرقوا فيه ، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه ،  
الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب » (٢٤) .

أقول : إذا كان ذلك . كذلك . فإنه ينطبق على يوسف عليه السلام .  
لأن قصته جاءت متماسكة فى وحدة كاملة مع دين الاسلام . ومع مسار  
دعوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

ولذلك جاءت بداية القصة — كما سبق أن ذكرنا — خطابا موجها  
للنبي صلى الله عليه وسلم . كإيناس نه فيما يعانیه وما سوف يعانیه  
من قومه فى سبيل دعوته ؛ وما يقاسيه من أجلها . فتبكر القصة لتؤكد  
أن القرآن كتاب الله أنزل لهداية الناس وارشادهم . من أجل اصلاح  
حالهم . وتقويم سلوكهم واستنقاذهم على الطريق الصحيح لعلمهم يثوبون  
الى رشدهم . ويعقلون ما آتاهم به النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

وفى القصة لفت للأنظار الى أن الهدف الأسمى من الحياة هو  
تحقيق العبودية لله رب العالمين فمع تمكين الله ليوسف فى الأرض ؛  
وتبوءه خزانة الدولة ؛ ومع تمكين الله تعالى له بالعلم ؛ ومع تمكين الله  
له من تعبير للرؤيا ؛ لم يرج يوسف بعد هذا كله الا أن يتوفاه الله  
مسلمًا وأن يلحقه بالصالحين .

وهذا هدف تتفق فيه الديانات كلها . وعلى رأسها خاتمة الديانات .  
وصدق الله اذ يقول : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون • ما اريد  
منهم من رزق وما اريد ان يطعمون • ان الله هو الرزاق ذو القوة  
المتين » (٢٥) •

ويحقق يوسف عليه السلام الهدف الرئيسى للحياة بعد تلك المحن  
وتلك الموقف من الابتلاء والصبر فى الضراء والشكر فى السراء . ويلتقى  
مع القرآن الكريم . روح كما التقى مع الاسلام عملا •  
وهذا ينحقق بقصة يوسف الهدف الأكبر . وهو تمحيص المؤمنين  
بالاسلام فى بداية السنوات الأولى من الدعوة •

وقد كان الفقراء من المؤمنين بالاسلام فى حاجة الى نموذج عملى  
تربوى . فكانت قصة يوسف عليه السلام بنصها . وأحوالها وما فيها  
من مواقف محزنة وأليمة . وما فيها من مكر وخداع وتدبير انتهت  
بنصر الله ينصر من يشاء . وهو وحده المتكفل بعباده الأوابين الصالحين •  
وفى العام اذى نزلت فيه سورة يوسف . اشتد البلاء بالمسلمين  
وكانوا فى حاجة ماسة الى من يسرى عنهم ؛ فلقط ماتت خديجة أم المؤمنين  
ومات عم النبى صلى الله عليه وسلم أبو طالب . سنده الوحيد . ومن  
ذوى المكانة والجاه فى مكة واشتد الكرب بالمسلمين فكانت هذه القصة  
مماثلة مائدة نزلت من السماء تهون على المسلمين ما هم فيه لذلك فلا  
غربة . والموقف هكذا أن يخرج المسلمون من ديارهم فيهاجروا ولا غربة  
أن يحبك المشركون المؤامرات لرسول الله ؛ ولا غربة أن تقع المعارك .  
وينتصر فيها المسمون . ويستشهد منهم العديد . لا غربة فى ذلك ففى  
قصة يوسف شىء من هذا ولكن النهاية هى الأساس . ففياها الاطمئنان  
وفياها السلوى . وصدق الله العظيم اذ يقول فى ختام سورة يوسف :  
« حتى اذا استياس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى  
من نساء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » (٢٦) •

وهكذا تطهر عواقب الصبر فى تلك القصة . حيث فيها الدعوة الى  
الاعتبار بمواقفها التربوية . وما آلت اليه القصة من معنى عميق من  
معانى الحياة ؛ وهو أن الله يخلق من العسر يسرا ومن الضيق فرجا  
ومخرجا . وأن تصرفات الانسان وأعماله تأتى نتائجها وفقا لقدر الله

وارادته . والمؤمن الصحيح الايمان هو من لا ييأس ولا يبتئس من روح الله . فانه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون .  
ومن هنا فعليه أن يتحمل ويصبر . في ساعات الشدة . ولا ينحدر مع الجوى أو الشهوة . بل بترقب ساعة الانتظار والظفر . وتقد كان النبي صلى الله عليه وسلم وحبه في أشد الحاجة الى هذا المعنى . خصوصا وقد اشتدت بهم الخنوب واحضت بهم كل أساليب الاضطهاد من خصوم عنيديين أقوياء .

وذلك جاء الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم : « ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك ، وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون » (٢٧)  
« حتى اذا استنيس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجى من نشاء ، ولا يرد بأسنا عن القوم المجرمين » . وجاء هذا الخطاب داعيا النبي عليه الصلاة والسلام الا ييأس لقنة المؤمنين المستجيبين لدعوة الاسلام (٢٨) « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » (٢٩) .  
وحول نفس المعنى يذكر الامام الطبرى في تفسير تلك الآيات « ذلك من أبناء الغيب » يقول تعالى ذكره : هذا الخبر الذى أخبرتك به من خبر يوسف ووالده يعقوب واخوته وسائر ما فى هذه السورة « من أبناء الغيب » يقول : من أخبار الغيب الذى لم تشاهده ونم تعابنه . ولكننا « نوحيه إليك » ونعرفك . لنثبت به فؤادك ونشجع به قلبك . وتصبر على ما نالك من الأذى من قومك فى ذات الله . وتعلم أن من قبلك رسل الله إذ صبروا على ما نالهم فيه ، وأخذوا بالعفو . وأمروا بالعرف . وأعرضوا عن الجاهلين ، فازوا بالظفر ، وأيدوا بالنصر ومكنوا فى البلاد وغلبوا على من قصدوا من أعدائهم وأعداء دين الله . يقول الله تبارك وتعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : فيهم يا محمد فتأسى وآثارهم فقص (٣٠) .

وفيما يتعلق بحرص النبي صلى الله عليه وسلم عن ايمان قومه « وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين » يقول الله عز وجل : هناك

(٢٧) يوسف : ١٠٢

(٢٨) محمد المبارك . دراسات أدبية . مرجع سابق ص ٨٨

(٢٩) يوسف : ١٠٣

٣٠١ أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . جامع البيان عن تفسير آى

القرآن . مرجع سابق ج ١٣ ص ٧٥

كثير من قومك يا محمد لا يؤمنون بك ولا يصدقونك ولا يتبعون ما جئتهم به بالرغم من حرصك على إيمانهم . وبالرغم من أنك لم تطب على دعوتك لهم آجراً من ثواب وجزاء منهم . إنما ثوابك وأجر عملك على الله . لأنك لو قلت لهم أو طلبت منهم ذلك فأنهم سوف يقولون لك : إنما تريد بدعائك إيانا اتباعك في سبيل اقتطاع جزء من أموالنا . وإذا كان الحال والتمسنا كذلك فكان جديراً بهم وحققا عليهم أن يوقنوا أن دعوتك لهم اتباع منك لأمر ربك<sup>(٣١)</sup> . ونصيحة منك لهم في سبيل ما فيه مصلحتهم وقوام حياتهم وانقاذهم مما هم فيه من شرك ومن ضلال .

واستمررا مع مناقشة الهدف الأسمى من السورة وهو وحدة الدين ووحدة الألوهية . يخبر المولى عز وجل أنه بالرغم من وجود آيات الله في الكون في سمائه وأرضه من شمس وقمر ونجوم وكواكب وجبال وأشجار ونبات . وهي ترى بالعين . ويعاينها هؤلاء الذين يدعوهم الرسول للإيمان . غير أنهم يعرضون عنها . ولا يتعظون بها ولا يفكرون فيها . « وفيما دلت عليه من توحيد ربها . وأن الألوهية لا تنبغى إلا للواحد القهار . الذي خلقها وخلق كل شيء فدبرها »<sup>(٣٢)</sup> .  
**« وكأين من آية في السموات والأرض يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ .  
 وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ »**<sup>(٣٣)</sup> .

وهنا يظهر أن هؤلاء الذين كانت صفتهم الاعراض عن آيات الله في الكون والدالة على وحدانيته إنما يشركون في عبادتهم مع الله الأوشن والأصنام ويتخذونها أربابا ويزعمون أن لله ولدا . تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً<sup>(٣٤)</sup> .

**« أفأمنوا أن تأتيهم غاشية من عذاب الله أو تأتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون »**<sup>(٣٥)</sup> .

يقول جئناؤه : أفأمن هؤلاء الذين لا يقرون بأن الله ربهم إلا وهم مشركون في عبادتهم إياه غيره . **« أن تأتيهم غاشية من عذاب الله »** تغشاهم من عقوبة الله وعذابه . على شركهم بالله أو تأتيهم القيامة

(٣١) المرجع السابق ص ٧٦ (٣٢) المرجع السابق ص ٧٦

(٣٣) يوسف : ١٠٥-١٠٦

(٣٤) أبو جعفر بن جرير الطبري . مرجع سابق ص ٧٧

(٣٥) يوسف : ١٠٧

فجأة ، وهم مقيمون على شركهم وكفرهم بربهم فيخادهم الله عز وجل في ناره . وهم لا يدرون بمجيئها وقيامها<sup>(٣٦)</sup> . « قل هذه سبيلي أدعوا الى الله ، على بصيرة أنا ومن اتبعني ، وسبحان الله وما أنا من المشركين » .

وبهذه الآية يحسم الأمر . وأن طريق النبي صلى الله عليه وسلم هو الدعاء الى توحيد الله واخلاص العبادة له من دون الآلهة والأوثان . وهذه الدعوة هي طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أنها أيضا طريق لمن آمن بالله سبحانه . يقول تعالى ذكره : وقل نتزيها لله وتعظيما له . من أن يكون له شريك في ملكه . أو معبود سواه في سلطانه . « وما أنا من المشركين » يقول : وأنا برىء من أهل الشرك به ؛ لست منهم ولا هم منى<sup>(٣٧)</sup> .

« وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحى اليهم من أهل القرى ، أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ، ولدار الآخرة خير للذين اتقوا ، أفلا تعقلون »<sup>(٣٨)</sup> .

أفلم يسر هؤلاء المشركون الذين يكذبونك يا محمد ويجحدون نبوتك وينكرون ما جئتهم به من توحيد الله . واخلاص الطاعة والعبادة له في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم اذ كذبوا رسلنا ألم نحل بهم عقوبتنا فنهلكهم وفتح منها رسلنا وأتباعنا ، فافتكروا في ذلك ويعتبروا<sup>(٣٩)</sup> .

ومجمل القول أن الآيات العشر الأخيرة من سورة يوسف يخاطب المولى عز وجل نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم : « قل هذه سبيلي أدعوا الى الله<sup>(٤٠)</sup> » قل يا محمد هذه دعوتي وتلك طريقتي وهي اخلاص العبادة لله دون الآلهة والأوثان . وتأتى الآية الأخيرة من السورة لتكمل العقد الذى بدأته والهدف الذى رسمته من العبرة والعظة والتوحيد . « لقد كان في قصصهم عبرة لأولى الألباب ، ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون »<sup>(٤٠)</sup> .

(٣٦) أبو جعفر بن جرير الطبرى . مرجع سابق ص ٧٩

(٣٧) المرجع السابق ج ١٣ ص ٨٠ — والآية من سورة يوسف : ١٠٨

(٣٨) يوسف : ١٠٩ . المرجع السابق ج ١٣ ص ٨١

(٤٠) يوسف : ١١١

بهذا العرض يتضح أن الهدف التربوي العام في تلك القصة هو الدعوة إلى الله الواحد وأفراده سبحانه بالعبادة . والعبادة مفهوم يتسع لك هو أعم من أداء الشعائر ليشمل أعمال الإنسان كلها . طالما يبتغى بها وجه الله تعالى .

وهذا في حد ذاته يعد تنفيذاً للموظيفة الرئيسية التي من أجلها خلق الإنسان . قال تعالى : « **وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً** » (٤١) والخلافة عمل ونشاط وعماراة للأرض وتعرف على طاقاتها وقواها ومكنوناتها وتنميتها وترقية الحياة بها .

وعلى أن هذا يتم وفقاً لشريعة الله وتحقيقاً للمنهج الإلهي الذي يتناسق مع الناموس الكوني للعالم (٤٢) .  
ومن هذا المنطلق كانت تلك الأنشطة كلها عبادة . العبادة بمفهومها الواسع وفقاً لحدود النشاط المطلوب من الإنسان والذي يتفق مع قوله تعالى : « **وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ** » (٤٣) .

وهذا بلا شك يتناسق مع أعلى درجات التربية الخلقية وهي إحدى الأهداف التي تسعى التربية — أي تربية — لتحقيقها .  
والتربية الخلقية حين تستند على الدين فلا شك أنها تحقق هدفها الأسمى في صفاء الضمير وتحقيق العدل والخير والجمال للإنسان .

\* \* \*

### ثانياً — الأهداف التربوية الخاصة :

معلوم أن الغاية من خلق الإنسان الابتلاء . وأن المطلوب من هذا الابتلاء هو عبادة الله رب العالمين وطاعته .  
ومن هنا تدور أو يجب أن تدور الأهداف العامة للمجتمع — أي مجتمع مسلم — فيما يتعلق بالأنظمة والسياسات والفلسفات ( الأيديولوجيات ) سواء ما كان منها في الشرق أم في الغرب . طالما أن هناك تسليماً بأن الإسلام هو الدين الخالص « **إِلَّا لِلَّهِ الدِّينَ الخَالِصَ** » (٤٤) .

(٤١) البقرة : ٣٠

(٤٢) سيد قطب . في ظلال القرآن ، ج ٢٧ مرجع سابق ص ٣٢٨٧

(٤٤) الزمر : ٣

(٤٣) الذاريات : ٥٦

كما أن الأهداف الخاصة حول سياسات التعليم ونظمه وإدارته ومتعلقاتها وما يدور في فلكها من برامج ولوائح وقوانين .. الخ . كل هذه يجب أن يكون محورها الاساسى . تحقيق العبودية لله . وأن يكون هدفها النهائى اخلاص العبادة لله رب العالمين .

في هذا الاطار ومن هذا المنطلق نلمح أن يوسف عليه السلام أمام صنوف المحن وأنواع الابتلاء المختلفة . قد صبر . وزاول دعوته الى الاسلام وهو في أحلك صنوف الابتلاء أثناء سجنه « وخرج منها كلها متجردا خالسا . وآخر توجهاته . وآخر اهتماماته . في لحظة الانتصار على المحن جميعا . وفي لحظة لقاء أبويه ولم شمله . وفي لحظة تأويل رؤياه وتحقيقها كما رآها .. » « إذ قال يوسف لأبيه يا أبت انى رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لى ساجدين » آخر توجهاته وآخر اهتماماته في هذه اللحظة هي التوجه المخلص المتجرد المنيب لى ربه . منخعا من هذا كنه بكليته كما يصوره الفران الكريم : « فلما دخلوا على يوسف آوى اليه أبويه .. » — « .. رب قد آتيتنى من الملك وعلمتنى من تأويل الاحاديث ، فاطر السموات والارض أنت ولى فى الدنيا والآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين » (٢٥) « وهكذا كانت طلبته الأخيرة .. بعد ذلك كله وهو فى غمرة السلطان والرخاء ولة الشمل .. أن يتوفاه ربه مسلما . وأن يلحقه بالصالحين .. وذلك بعد الابتلاء والمحنة . والصبر الطويل والانتصار الكبير » (٢٦) .

وإذا كان منهج الاسلام يحتم استثمار مواقف الانسان المسلم . أعنى جميع الخبرات والمواقف العملية فى حياته كلها . بحيث تصبح خالصة لوجه الله رب العالمين فان يوسف عليه السلام كان النموذج الأعظم لتلك المنهجية الاسلامية الخالصة . ذلك أن ما ابتلى به يوسف عليه السلام متنوع ومتعدد سواء فى طبيعته أو اتجاهاته ابتلاء بالشدة وابتلاء بالرخاء . وابتلاء بفتنة الشهوة وقتية السلطان . ابتلاء بانفعالات المشاعر أمام مختلف المواقف ومختلف الشخصيات . والنتيجة الباهرة أمام تلك الاختبارات . هي الاتجاه لى الله سبحانه وتعالى اتجاه العبد المنيب الذى يرجو رحمة الله ويخشى عذابه (٢٧) .

(٢٥) يوسف : ٩٩ - ١٠١

(٢٦) سيد قطب . فى ظلال القرآن ج ١٢ . مرجع سابق ص ١٩٥٠

(٢٧) المرجع السابق ص ١٩٥٢

بهذه الأساليب نستطيع أن نضع عناصر الأهداف التربوية الخاصة بقصة يوسف عليه السلام . واضعين في الاعتبار أننا في هذا البحث سنستشهد بآيات من القصة تدعم القيمة التربوية التي نحن بصددھا .  
ومن هنا - ولضيق المقام - فلن نتعرض بالتفصيل لكل آيات السورة سوى أننا نضع بين يدي القارئ الأهداف التربوية مقرونة بالآيات الدالة عليها . شارحين للبعض منها لتأييد القيم التربوية موضع البحث .

وبهذا نتجنب الاطائة نظرا لما تتطلبه طبيعة هذا البحث وأيضا نتيح لمن يريد المزيد من التعرف على التفصيلات أن يرجع إليها في كتب التفسير . وفقا لما سنلمح إليه من الآيات الدالة على كل موقف تربوي .

وتفع قصة يوسف وحدها في ثمان وتسعين آية . بالإضافة الى ثلاث الآيات الأولى . والعشر الآيات الأخيرة من السورة هذا ونقد تضمنت السورة مشاهد ومواقف كثيرة نذكرها فيما يلي توطئة لذكر أهم الأهداف التربوية الخاصة .

\* \* \*

### \* مشاهد القصة :

١ - رؤيا يوسف وتقع في الآيات ( ٤ - ٧ ) وتتضمن تلك الآيات نمطاً في الطبيعة الانسانية ممثلاً في حرص يعقوب عليه السلام على يوسف ونصحه بعدم حكاية رؤياه لآخوته كما تتضمن الآيات التفاوض مستقبل مشرق ينتظر يوسف عليه السلام .

٢ - مؤامرة وضع يوسف في الحبس . وتنفيذها . وبيعه بيع العبيد . ويقع هذا المشهد في الآيات ( ٨ - ٢٠ ) وتتضمن الآيات الايمان بالله والثقة به ممثلاً في اسناد الأمر لله رب العالمين في كشف تلك المؤامرة « قال بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » (٤٨) .

٣ - يوسف في مصر وفي بيت العزيز . ومؤامرة تدبر لها زوجة العزيز ومشهد نسائي من نساء القصر . ثم تمكين ليوسف . وعلم وحكمة يؤيد الله سبحانه وتعالى بها يوسف لأنه هو الذي قد رباه وأحسن

مثنواه وتقع تلك المشاهد في الآيات ( ٢١ - ٣٤ ) وتتضمن الصدق مع الله والاخلاص في درء نزغات الشيطان .

٤ - يوسف في السجن يدعو الى الله على بصيرة . فيكون محل ثقه ويصبح من المحسنين . يلجأ اليه الملك ليفسر له ما رآه في منامه .  
ويصبح الايمان بالله دعوة ابراهيم واسحاق ويعقوب منهجا ليوسف وتقع تلك المشاهد في الآيات ( ٣٥ - ٥٣ ) وتتضمن يقظة الضمير حين اعترفت زوجة العزيز ببراءة يوسف مما سبق أن نسب اليه :  
« قالت امرأة العزيز الآن ححص الحق أنا راودته عن نفسه ، وانه لمن الصادقين » (٤٩) .

٥ - يوسف الذي مكن له فتونى خزائن الدولة فيصير برحمة الله من المحسنين الصادقين المخلصين « ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون » (٥٠) . ونرى هذا في الآيات ( ٥٤ - ٥٧ ) .

٦ - يوسف مع اخوته . وذهابهم من أجل الحصول على الأطمعة . بعد أن حاط القحط بالعباد والبلاد . ويوسف لا يكشف عن شخصيته ويحيط ذلك بسرية كاملة . وما كان من ابقاء يوسف لأخيه ثم ما كان من تفاؤل يعقوب عليه السلام وطلبه من بنيه ألا يبأسوا ولا يركنوا للتكاسل في طلب يوسف وأخيه ونلمح تلك المشاهد في الآيات ( ٥٨ - ٨٨ ) .

٧ - أما الآيات ( ٨٩ - ١٠١ ) فقد جاءت خاتمة المطاف واشتملت على التقاء يوسف وأخيه بأبويه واخوته . والصفح عنهم وطلب المغفرة لهم . وجاء دعاء يوسف بعد أن أتم الله عليه نعمة التقائه بأبويه وأخوته خاتمة في منتهى الصدق والاخلاص للدعوة الى الله : « رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث ، فاطر السموات والأرض أنت وليي في الدنيا والآخرة ، توفني مسلما وألحني بالصالحين » (٥١) .

ومن خلال هذه المشاهد سوف نتخير بعض القيم التربوية من خلال مواقف في قصة يوسف عليه السلام على الشكل الآتي :

- أولا : الاسلام دين الفطرة .
- ثانيا : الايمان بالله والثقة به .
- ثالثا : يقظة الضمير .

- رابعا : الدعوة الى الخير .
  - خامسا : التفاؤل المقرون بالعمل .
  - سادسا : الصدق والاخلاص .
- وستحدث عن كل من تلك القيم مدعين ذلك ببعض التفاسير الصحيحة في هذا المقام :

### أولا - الاسلام دين الفطرة :

ليس غريبا على النهج القرآني في أسلوب القصة ذلك التدعيم بتأمل والاعتراف الصريح بمنطق الفطرة السليمة . ماثلا في شخصيات هذه القصة مع تعدد أفرادها . واختلافهم بين كبير مسن يعقوب عليه السلام . النبي المطمئن الموصول . وبين ملك عزيز مهيب له من الجلال والسلطان - والسلطان لله رب العالمين - بالإضافة الى أخوة يوسف الذين احتسدت قلوبهم غيرة وحسدا وحقدا ومؤامرة ومناورة وقد ضعفت نفوسهم أمام مواجهة آثار الجريمة . بيد أن أحدهم قد اتسم بشخصية موحدة السمات في كل مراحل القصة .

ففي البداية يقول لآخوته بعد أن اعترموا قتل يوسف : « قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة أن كنتم فاعلين » (٥٢) ، وقوله لهم حين انصرفوا من موقفهم أمام يوسف بعد رفضه الكيل لهم واحتجازه لأخيه يقول لهم : « فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين » (٥٣) .

وهذه امرأة العزيز ، بما اتسمت به من جنوح الغريزة الأنثوية المتأثرة بالبيئة المصرية الجاهلية في بلاط الملوك الى جانب طابعها الشخصي الخاص لواضح في تصرفها ووضوح انطباعات البيئة ، وموقف النسوة المتجلى في حديثهن عن امرأة العزيز وفتاها واغرائهن ليوسف وتثديد امرأة العزيز له في مواجهتهن جميعا ونحو ذلك مما يجري وراء أستار القصور ودسائسها ومناوراتها .

بين هذه الشخصيات المتفاوتة في تفكيرها وأهدافها ، والمتباينة في طبيعتها ونوعيتها : يتجلى القصص القرآني ومنه قصة يوسف في أسلوب متناسق ومتناغم . لا خلل فيه ولا اعوجاج . فيأتي معترفا بالصفة البشرية للكائن الحي فلا لبس ولا غموض في أي من تلك المواقف ،

٨٠ : يوسف : ٥٣)

١٠ : يوسف : ٥٢)

ولا تحيز لأحد على حساب الآخر . لأن هذا هو منهج الاسلام الكامل في الأداء التربوي من خلال القصص القرآني ، هذا الأداء الذي لا يهمل خلجة بشرية واقعية واحدة . وفي الوقت ذاته لا ينشئ مستنقعا من الوحل يسميه « الواقعية » كالمستنقع الذي أنشأته « الواقعية » الغربية الجاهلية (٥٤) !

وهذا المنهج قد استكمل التصوير النفسى للبشر بواقعية كاملة . دون أن يغفل اية لمحة حقيقية من لمحات النفس الانسانية . ولعلنا بهذا نلمح الترفع في هذا الأداء التربوي عن مستوى الاسفاف المقزز للفطرة السليمة . أو ما يطلق عليه في هذا العصر « الواقعية » أو « الطبيعية » (٥٥) .

وبهذا العرض يمكن القول أن الأداء التربوي في قصة يوسف عليه السلام قد استخدم النمط الكامل المتكامل في البناء التربوي لأن الاعتراف بالطبيعة الانسانية واضح فيها . وزيادة على ذلك فالاسلام مع اعترافه بالطبيعة الانسانية الا أنه يوجهها ويعدل من سلوكها . بما يحقق للانسان الخير في نفسه وفي مجتمعه وبما يحقق له الخير في دينه وديناه .

### ثانياً - الايمان بالله والثقة به :

ان المواقف التي تبنتها قصة يوسف توحى الى موجبات الدعوة الى الله وما يستلزمه ذلك من صبر ورباطة جأش . ولقد صاحب هذا المغزى التربوي مواقف كثيرة في القصة نذكر منها ما يلي :

( ١ ) يوسف ملقى في الجب . وفي أزمته هذه الشديدة . وابتلائه بعد الكيد له والمكر به ، ومع ذلك فهو المؤمن بربه الواثق بنصره . قال تعالى : « وأوحينا اليه لتنبئتهم بأمرهم هذا وهم لا يشعرون » (٥٦) على خلاف بين المفسرين حول زمن الايحاء . يقول الامام الطبري حول هذا : وأوحينا الى يوسف لتخبرن اخوته بأمرهم هذا . يقول : بفعلهم هذا الذي فعلوه بك « وهم لا يشعرون » يقول : وهم لا يعلمون ولا يدرون . ثم اختلف أهل التأويل في المعنى الذي عناه الله عز وجل بقوله : « وهم لا يشعرون » فقال بعضهم : عنى بذلك أن الله أوحى الى يوسف أن يوسف : سينبئ اخوته بفعلهم به ما فعلوه من القائه

(٥٤) في ظلال القرآن . مرجع سابق ص ١٩٥٢

(٥٥) المرجع السابق . (٥٦) يوسف : ١٥

في الجب وسائر ما صنعوا به من ضنيعهم : واخوته لا يشعرون بوحي الله اليه بذلك<sup>(٥٧)</sup> .

(ب) يوسف في السجن . بين ظلماته ومكابدة المتاعب والمصاعب بداخه . وقد طال به السجن بعد أن نسى أحد الفتيتين الناجي من السجن أن يذكر يوسف عند الملك . وقد كان صريح السجن مثل يوسف ونجا منه ثم عاد الى القصر وكان ما كان من أمر رؤيا الملك وذهاب الفتى النجى ليوسف في السجن واستطاعة يوسف تفسير رؤيا الملك الذي أمر باحضار يوسف لديه فيما بعد . وسجين هذا حاله . ينتظر منه . أن يستجيب لفورته للخروج من السجن والذهاب الى الملك والتخلص من تلك القيود . والعيش في كنف القصور .

ومع ذلك فان ايماننا بالله وثقة به . يحركان يوسف عليه السلام . ويحثانه على لتريث والتأني . وعدم الاستجابة الفورية في سرعة تلبية أمر الملك . حتى تتجلى الظلمة وتتفتت سحب التهمة الموجهة اليه من غير دليل والتي راح بسببها في غيابات السجن لسنوات . وينطق يوسف عليه السلام منطلق الحق قائلاً لرسول الملك : « فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن أيديهن ، ان ربي بكيدهن عليم »<sup>(٥٨)</sup> . يقول الامام الطبري في تفسير هذه الآية : يقول تعالى ذكره فما رجع الرسول الذي أرسلوه الى يوسف . الذي قال : « أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون »<sup>(٥٩)</sup> فأخبره بتأويل رؤيا الملك عن يوسف . علم الملك حقيقة ما أفتاه به من تأويل رؤياه وصحة ذلك . وقال الملك : ائتوني بالذي عبر برؤياي هذه<sup>(٦٠)</sup> .

وقوله : « ان ربي بكيدهن عليم » يقول : ان الله تعالى ذكره ذو علم بصنعهن وأفعالهن التي فعلن بي ويفعلن بغيري من الناس لا يخفى ذلك كله . وهو من وراء جزائهن على ذلك<sup>(٦١)</sup> . راجع في هذا الآيات ( ٣٥ - ٥٣ ) .

(ج) موقف يوسف من اخوته . بعد أن تبوأ مكانته كوزير يسوس الأمور فيما يتعلق بأقوات الناس . ويدير ذلك في قدرة تامة وفي حصافة

(٥٧) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري . جامع البيان عن تأويل آي

القرآن . مرجع سابق . ج ١٢ ص ١٦١

٥٩ . يوسف : ٥٥

(٥٨) يوسف : ٥٠

(٦١) المرجع السابق ص ٢٣٦

(٦٠) المرجع السابق ص ٢٣٤

وحكمة أقدرته أن ينفذ البلاد . وبعض ما جاورها . من غرط . ما ألم بها من السبع السنين العجاف . ومن تلك التهلكة التي كادت أن توقع الناس المخرج الشديد من ضيق العيش وخوف التهلكة . ويوسف في تلك المكانة وقد ضم إليه أخاه . يقول له اخوته بعد أن اكتشفوا أمره من كلامه : « **أنتك لأنت يوسف** » (٦٣) قال : « **أنا يوسف وهذا أخي ، قد من الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين** » (٦٣) .

ويذكر الشهيد سيد قطب في معنى هذه الآية : قالوا : « **أنتك لأنت يوسف** » ؟ « **أنتك لأنت ؟! فالآن تدرك قلوبهم وجوارحهم وآذانهم ظلال يوسف الصغير في ذلك الرجل الكبير** » قال **أنا يوسف وهذا أخي ، قد من الله علينا ، انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين** » (٦٣) مفاجأة ! مفاجأة عجيبة . . يعلنها لهم يوسف ويذكرهم في اجمال بما فعلوه بيوسف وأخيه في دفعة الجهالة . . ولا يزيد . . سوى أن يذكر منة الله عليه وعلى أخيه ، معللا هذه المنة بالتقوى ، والصبر وعدل الله في الجزاء . أما هم فتمثل لعيونهم وقلوبهم صورة ما فعلوا بيوسف ويجللهم الخزي والخجل وهم يواجهونه محسنا « **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** » (٦٣) . ولكن التقوى والصبر والثقة في الله حتمت على يوسف أن يقول لآخوته وهو في مركز القوة ولكنها قوة الايمان وفي موقف المنتصر ولكنه العزيز بالله يقول لآخوته : « **لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ، وهو أرحم الراحمين** » (٦٤) . راجع في هذا الآيات (٥٨ - ٩٢) .

وليس بعد ذلك من حديث لمتحدث عن السماحة والعفو وكرم الخلق وبذر السلوك الصحيح لدى الانسان في نمط عملي نموذجي تجريبي ، ينطق الانسان ويجعله يشيد بالفضل ويفاخر بالفضيلة مما حدا باخوة يوسف أن يقولوا له بعد أن تكشف لهم هذا الدرس التربوي « **قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** » (٦٥) . وفي هذا اعتراف سببه الثقة والايمان بالله الذي نفذه يوسف عليه السلام في اخلاص وصدق ويقين .

(٦٢) يوسف : ٩٠

(٦٣) في ظلال القرآن ، مرجع سابق ج ١٢ ص ٢٠٢٧

(٦٥) يوسف : ٩١

(٦٤) يوسف : ٩٢

### ثالثا - يقظة الضمير :

بعد أن أَلقت المقادير بيوسف عليه السلام في السجن ، وتعرف على اثنين من السجناء القتيان ، وبعد أن قصا عليه ما رأياه في منامهما ، ثم ما كان من يوسف عليه السلام من تفسير لما رأياه ، مما زاد من تعلقهما به وثقتهما فيه .

ظلما استأنس يوسف فيهما اليقظة واستشعر منهما المهمة : التي مهد هو لها استطاع يوسف عليه السلام أن ينفذ الى قلوبهما ، ليستقبلا ما يقوله يوسف عليه السلام من أمر التوحيد والدعوة الى الله ، واستنفر يوسف من نفسه المهمة والعزم وصيحة الضمير وقام يدعو الى الله وهو في السجن .

قال تعالى : « واتبعت ملة آباي ابراهيم واسحاق ويعقوب ، ما كان لنا أن نشرك بالله من شيء ، ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون . يا صاحبي السجن أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار . ما تعبدون من دونه الا أسماء سميتوها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان ، ان الحكم الا لله ، أمر الا تعبدوا الا اياه ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون » (٦٦) .

وهذه الآيات تكشف أن التوحيد الخالص لله : أمر مقرر في جميع رسالات الرسل ولكن الناس هم الذين لا يعرفون هذا الفضل ولا يشكرونه . وبهذا المدخل اللطيف يخطو يوسف عليه السلام خطوة خطوة في حذر واين . ليستحوذ على قلبى الرجلين وليوقظ الضمير فيهما . فيكشف لهما عن فساد اعتقادهما . وفساد ذلك الواقع النكد الذى يعيشون فيه . بعد ذلك التمهيد التربوى الطويل . . « **أرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار** » . ثم يتخذ يوسف عليه السلام منهما صاحبين وينحسب اليهما بهذه الصفة المؤنسة ، ليدخل من هذا المدخل الى صلب الدعوة وجسم العقيدة : وهو لا يدعوها اليها دعوة مباشرة ، انما يعرضها قضية موضوعية (١٧) .

ثم يكشف يوسف عليه السلام النقاب عن الفطرة البشرية . التي لا تعرف سوى اله واحد ففيم اذن تعدد الأرباب ؟ لا شك أن الذى ينبغى أن يطاع شرعه وينفذ سلطانه هو الله الواحد القهار : وهو في

(٦٦) يوسف : ٢٨ - ٤٠ .

(٦٧) سيد قطب . في ظلال القرآن . ج ١٢ ص ١٩٨٩

عنى عن العالمين « فهو سبحانه لا يريد منهم الا التقوى والصلاح والعمل وفق منهجه — فيعد لهم هذا كله عبادة . وحتى الشعائر التي يفرضها عليهم انما يريد بها اصلاح قلوبهم ومشاعرهم . لاصلاح حياتهم وواقعهم .. ففرق بين الدينونة لله الواحد القهار والدينونة للارباب المتفرقة بعيد (٦٨) .

« أن الحكم الا لله ... » فالحكم مقصور عليه وحده . والحاكمة من خصائص الألوهية « من ادعى الحق فيها فقد نازع الله سبحانه أولى خصائص ألوهيته » (٦٩) .

وهكذا يرسم التعبير الفنى فى تلك الآيات خفقات المشاعر وانتفاضات الوجدان رسما رشيقا رفيقا شفيقا (٧٠) .

وبهذا العرض يظهر لنا طريقة القرآن الكريم فى نقد الفساد الذى يستشرى فى المجتمع ويسلك القرآن وجهات فنية تعتمد على القصص وضرب الأمثال . كما يستخدم المناقشة والحوار وعرض نماذج بشرية فى معرض النقد وينتقى القرآن فى القصة أبرز حوادثها وأشدها صلة باعتبار المقصودة مغفلا التفاصيل الزائدة ومركزا على تلقين الأفكار التى لا تفضل الواقع الانسانى بل ترتفع به الى المثلى الأعلى (٧١) . وهذا ما نلاحظه واضحا فيما تعرضنا له من موقف يوسف من الفتية فى السجن ودعوتهم الى الله وافراده سبحانه بالعبادة . ودعوة قومهم الذين هم على دينهم من خلال دعوتهم . مستخدما فى ذلك منطقتي التحلية بعد التخلية فهو يجاهد فى سبيل تخليهم عن الاشرار بالله ، ثم يفسح المجال لاقتناعهم بعبادة الله وايقاظ ضميرهم .

#### رابعا — الدعوة الى الخير :

ويتمثل ذلك فى شخصية يعقوب عليه السلام الأب الرحيم ، الشفيق الحذر . الصابر المتفائل بالنصر ، والفرج ، ويوسف عليه السلام المظلوم الذى ابتلى فصبر على بلائه وانتظر رحمة ربه : شاكرا نعمته : بغلب ايمانه على هواه وعلى شهوته ، محسن لا يضر الا الخير : وأبناء يعقوب الحاسدون المتآمرون (٧٢) .

(٦٨) المرجع السابق ص ١٩٨٩ ، ١٩٩٠

(٦٩) المرجع السابق . (٧٠) المرجع السابق ص ١٩٩٦

(٧١) محمد المبارك . دراسة أدبية ص ١٠١

(٧٢) محمد المبارك . دراسة أدبية . مرجع سابق ص ٨٧

هذه الشخصيات تجمعها مواقف ، يتضح فيها الدعوة الى الخير .  
والصفح والعتو والمسامحة عنوانا لتلك الشخصيات المثالية التي هي  
الأمثلة الحية النابضة بالحب والخير . فيوسف يقول لآخوته وهو في  
أوج الانتصار والرفعة : « لا تثريب عليكم اليوم ، يغفر الله لكم ،  
وهو أرحم الراحمين » (٧٣) . ويعقوب عليه السلام يقول لبنيه بعد أن  
استرحمهم طالبين منه المغفرة والعتو . انه سوف يستغفر لهم .  
« قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين . قال سوف أستغفر  
لكم ربى ، انه هو الغفور الرحيم » (٧٤) .

وكانى يعقوب عليه السلام وقد عايش هذه المحن العصية .  
يرى بنفسه ويدرك بحسه نتيجة ما سبق أن رآه ببصيرته واستشعره  
بقلبه . أن وراء هذه الرؤيا شأن عظيم لهذا الغلام . لم يفصح هو عنه  
ولم يفصح عنه سياق القصة كذلك . ولا تظهر بوادره بين حلقتين منها .  
ما تمامه فلا يظهر الا في نهاية القصة بعد انكشاف الغيب المحجوب .  
وهذا نصحه بالأ يقص رؤياه على آخوته . خشية أن يستشعروا ما وراءها  
لأخيهم الصغير — غير الشقيق — فيجد الشيطان من هذا ثغرة في  
نفوسهم فتمتلىء نفوسهم بالحق ، فيدبروا له أمرا يسوءه (٧٥) . ومن  
هنا فان يعقوب عليه السلام كان يتنبأ بالخير ليوسف وكان يعالج نزعات  
الشيطان بين بنيه بأسلوب النبى الموصول الراغب في وضع الثواب  
لمستحقبه في الوقت المناسب والزمان حتى ينتزع الشر من القلوب ويبذر  
مكانه الخير والحب والوفاء .

### خامسا — التناؤل المقرون بالعمل :

لقد برز التناؤل في هذه القصة في عدد من المواقف :

— حين أجاب يعقوب بنيه الذين كذبوا عليه في شأن يوسف  
وأخفوا عليه أمر وضعه في الحب ، قال لهم : « بل سولت لكم أنفسكم  
أمرا ، فصبر جميل ، والله المستعان على ما تصفون » (٧٦) .

— حين طلب اخوة يوسف من يعقوب عليه السلام أن يصطحبوا

(٧٤) يوسف : ٩٧ ، ٩٨

(٧٣) يوسف : ٩٢

(٧٥) سيد قطب ، في ظلال القرآن ، مرجع سابق ص ١٩٧١

(٧٦) يوسف : ١٨

معهم أبا لهم من أبيهم ( هو شقيق ليوسف واسمه بنيامين ) كطلب يوسف منهم حتى يمكنهم من الكيل والحصول على الصفقة التي خزجوا من أجلها ليرفعوا عن قومهم غائلة الجوع والفاقة في سنوات القحط . قال لهم أبوهم في إيمان النبي الموصول المتفائل بنصر الله المعتصم المتين قال : « لن أرسله معكم حتى تؤتونا موثقا من الله لتأتني به الا أن يحاط بكم ، فلما آتوه موثقهم قال الله على ما نقول وكيل » (٧٧) .

— أما في الآيات ( ٨٣ — ٨٧ ) ففيها التفاضل المحبوب بالعمل والاجتهاد في سبيل الهدف وذلك بعد أن شق على بنيه أن يخلصوا أخاهم بنيامين من يوسف عليه السلام الذي ضمه إليه في سبيل أن تتم فصول القصة ويلتئم ما حدث فيها من جراح . أخبر أخوة يوسف أباهم ما كان من شأن أخيه وأتهامه بالسرقة قال لهم : « بل سولت لكم أنفسكم أمرا ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعا ، انه هو العليم الحكيم ٠٠٠ » (٧٨) الى أن قال لهم : « يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه ولا تيأسوا من روح الله ، انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون » (٧٩) .

( أما فلسفة انقصة العميقة فتتجلى في الايمان العميق بالله الذي ينصر الحق على الباطل ولو طال أمده . والثقة بهذا الانتصار . ومواجهة أزمات الحياة بصبر وثبات وايمان . والتفاضل حتى في الشدة وترقب الفرغ من الله في الأزمات . والايمان أن نية الخير والعزم عليه لا يوند في النهاية الا خيرا فلا يأس ولا قنوط في الحياة والايمان صبر وجهاد وثقة وتفاضل » (٨٠) .

### سادسا — الاخلاص والصدق :

أما سمة الاخلاص والصدق فلقد احتلت مساحات في القصة نذكر منها دعوة يوسف الى بلاط الملك . بعد أن قام يوسف عليه السلام بتأويل رؤيا رآها الملك . وقد أحله الملك مقاما عليا . ومكنه على خزائن الدولة . وكان المخلص الصادق الذي استطاع أن ينقذ البلاد في سنين القحط والمجاعة .

(٧٨) يوسف : ٨٢

(٧٧) يوسف : ٦٦

(٧٩) يوسف : ٨٧

(٨٠) محمد المبارك . دراسة أدسية . مرجع سابق ص ٨٥ . ٨٦

وكانت عاقبة الاحسان رحمة وعاقبة الصدق مكانة في الدين  
والآخرة . والآيات ( ٥٤ - ٥٧ ) يتضح فيها هذا الهدف في جلاء كامل :

« وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسى ، فلما كلمه قال انك اليوم  
لدينا مكين أمين . قال اجعلنى على خزائن الأرض ، انى حفيظ عليم .  
وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض ، يتبوا منها حيث يشاء ، نصيب برحمتنا  
من نشاء ، ولا نضيع أجر المحسنين . ولأجر الآخرة خير للذين آمنوا  
وكانوا يتقون » ( ٨١ ) .

يقول الامام الطبرى فى تفسير قوله تعالى : « ولأجر الآخرة خير  
للذين آمنوا وكانوا يتقون » . يقول تعالى ذكره : « ولثواب الله فى  
الآخرة خير للذين آمنوا يقول : للذين صدقوا به ورسوله مما أعطى  
يوسف فى الدنيا من نمكينه له فى أرض مصر . وكانوا يتقون »  
يقول : وكانوا يتقون الله فيخافون عقابه فى خلاف أمره واستحلال محارمه  
فيطيعونه فى أمره ونهيه » ( ٨٢ ) .

ويقول سيد قطب فى تفسير تلك الآية : « ولأجر الآخرة خير للذين  
آمنوا وكانوا يتقون » . فلا ينقص منه المتاع فى الدنيا وان كان خيرا  
من متاع الدنيا . متى آمن الانسان واتقى . فاضمان بايمانه الى ربه  
وراقبه بتقواه وسره وجهه . وهكذا عوض الله يوسف عن المحنة .  
تلك المكانة فى الأرض وهذه البشرى فى الآخرة جزاء وفاقا على الايمان  
واصبر والاحسان » ( ٨٣ ) .



### \* نتائج البحث :

أولا : ضرورة النظر فى القرآن الكريم . واستخراج ما به من فكر  
تربوى . يكون للمتعلمين ثروة دينية . علمية . وتربوية . مما يدعم  
تحقيق الهدف الأكبر من الخلق وهو العبادة - بمفهومها الواسع -  
لله رب العالمين . العبادة التى تشمل جميع أنشطة الحياة فى غير معصية

( ٨١ ) يوسف : ٥٤ - ٥٧

( ٨٢ ) أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . جامع البيان عن تأويل

آى القرآن . مرجع سابق ج ١٣ ص ٧

( ٨٣ ) فى ظلال القرآن . مرجع سابق ج ١٣ ص ٢٠١٤

الله تعالى . أداء للواجبات التي تأتي نتيجتها وفقا لاتقانها « **انا لا نضيع أجر من أحسن عملا** » (٨٤) .

ثانيا : لا ولن يتأتى للانسانية عقيدة ، سواء آكانت قديمة أم حديثة أجدر للانسان وأوفق من عقيدة القرآن « وأوفق ما فيها أنها غنية عن الاختراع والامتحان . وأنها على شرط العقيدة الدينية من بنية حية . شملت ملايين الخلق وثبتت معهم وحدها في كل معترك زبون يوم خذلته كل قوة يعتصم بها الناس . . . . وأن القرن العشرين ينتهي بما استحدث من مبادئ ومذاهب و « أيديولوجيات » ولا ينتهي بما تعلمه أهل القرآن من القرآن » (٨٥) .

ثالثا : غرس الدين بنمط ميسور للأطفال في المدارس . عن طريق القصة المبسطة . مما يسهل تقبل الأطفال للقيم التربوية والمبادئ الانسانية « وأندين يفقد صفة الحياة متى قصر أهله في التبشير به والدعوة اليه . ويفقد أيضا هذه القصة اذا لم يهتم بالتربية . فليس اخصب من نفوس الصغار مجالا لنشر الدعوة الدينية واعتناقها » (٨٦) .

رابعا : الحاجة ماسة الى استثمار القصة القرآنية في بناء الأخلاق . خصوصا وقد استشرت في الآونة الأخيرة قصص رخيصة ( غرامية - بوريسية - اجتماعية أو ثقافية ) ولكنها في مجموعها يشيع فيها التخلي والتشويش على عقول الأطفال والشباب . مما يهون عليهم أساليب الحقد والجريمة ويهون عليهم ارتكاب كل محرّم في سبيل تحقيق الهدف . وحين نريد بناء الأخلاق والفضائل السلوكية عند الأطفال بحيث تصبح عندهم عادة يمارسونها في شبابهم وفي حياتهم المستقبلية فعلينا أن نركز على القصص الدينية خصوصا في المراحل المبكرة من حياة الأطفال « ومما لا شك فيه ولا جدال معه أن الفضائل الخلقية والسلوكية

(٨٤) الكهف : ٣٠

(٨٥) عباس محمود العقاد . الانسان في القرآن الكريم . دار الهلال .

بدون تاريخ ص ٨

(٨٦) جيمس س. دوس . الاسس العامة لنظريات التربية . ترجمة

صالح عبد العزيز وآخرين . مكتبة النهضة المصرية . القاهرة ، بدون تاريخ .

ص ٧

وأنوجدانية هي ثمرة من ثمرات الايمان الراسخ . ولتنتشئة ادينية  
الصحيحة» (٨٧) .

خامسا : تضمنت قصة يوسف مجموعة من المبادئ الانسانية .  
والقيم الاخلاقية تمثلت في « أنواع العواطف الخيرة والشريرة . الواقعية  
والمثالية . من النصد والمكر . والتامر والاجرام . والعطف الأبوى والحذر  
والحزن والحنين ولشوق . والغريزة الجنسية والترفع المثالي والاباء ..  
تنوع المشاهد والبيئات من البداوة الى الحضارة ومن السجن الى قصر  
المك . وأعظم من ذلك كله ما فيها من فلسفة القدرة والايمان العميق  
بنصر الله للحق ولو طال أمد الباطل » (٨٨) .

سادسا : في استثمارنا للقصة القرآنية . تحقيق للشخصية الانسانية  
المثالية . والتي حال دون تحقيقها قصور في فهم القصة القرآنية .  
والاكتفاء بالمرور عليها مرور الكرام . دون اتقان لفكرة تربوية من ذلك  
التراث المملوء والزاهر بالكثير . فنحن لم ننعم لننظر بعد في قرآنا  
وخصوصا الجانب القصصي الذي قد يؤتى ثمرة طيبة لدى الشباب  
والأطفال مما جعل الفجوة سحيقة بين ما يعيشه أطفالنا واقعا ملموسا  
من معاشة كامئة أو شبه كاملة لثقافة مختلطة عبر أجهزة الاعلام ومنها  
( التلفزيون . والسينما .. الخ ) وبين فكر تربوي قرآني تركناه وراء  
ظهورنا دون صيحة من الآباء أو المعلمين أو أولى الفكر وذوى العلم  
وأهل الرأي اللهم غيما عدا النزر اليسير الذي لم يف بسد هذا الصدع  
وعلاج هذا الداء .

سابعا : في استثمارنا لقصة يوسف نلمح بناء للشخصية المعتدلة .  
التي لا تتسم بالغطرسة أو الغرور بالنفس أو العجب أو الكبرياء .  
وما أحوجنا في الآونة الأخيرة التي ترسم هذا المنهج والسير على خطاه .  
والله أسأل أن يمنحنا توفيقه وهداه . وأن يهبنا فضل التربية  
على مائدة القرآن الكريم .

\* \* \*

---

(٨٧) عبد الله ناصح علوان . تربية الأولاد في الاسلام . دار السلام  
للطباعة والنشر والتوزيع . حلب . ط ٣ ج ١ ص ١٦٧  
٨٨ محمد المبارك . دراسة ادبية . مرجع سابق ص ١٠٦